

تفسير البحر المحيط

. @ 539 @ .

وقرأ الأعمش : كرهاً ، بضم الكاف ، والجمهور بفتحها . .
{ وَإِلَّيْهِ يُرْجَعُونَ } تهديد عظيم لمن اتبع وابتغى غير دين الله ، وتقدير معنى الرجوع إليه ، ويحتمل أن يكون قد عطف على قوله : { وَلِلَّهِ أَسْلَامٌ } فيكون مشاركاً له في الحالية ، وكأنه نعى عليهم ابتغاء غير دين من انقاد إليه المكلفون كلهم ومن إليه مرجعهم ، فيجازيهم على أعمالهم . والمعنى : أن من كان بهاتين الصفتين لا يبتغي ديناً غير دينه ، ويحتمل أن يكون استئنافاً وإخباراً بأنه تعالى إليه مصيرهم ومنقلبهم فيجازيهم بأعمالهم . .

وقرأ حفص ، وعباس ، ويعقوب ، وسهل : يرجعون ، بالياء على الغيبة ، فيحتمل أن يكون عائداً على من أسلم ، ويحتمل أن يكون عائداً على غير ضمير يبعثون ، فيكون على سبيل الالتفات على قراءة من قرأ : تبعثون ، بالتاء إذ يكون قد انتقل من خطاب إلى غيبة . وقرأ الباقون : بالتاء ، فإن عاد الضمير على من كان التفاتاً ، أو على ضمير : تبعثون ، كان التفاتاً على قراءة من قرأ : يبعثون ، بالياء ، أو يكون قد انتقل من غيبة إلى خطاب . .
{ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا وَمَا نَسْتَعْجِلُ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْآيَاتِ } هذه الآية موافقة لما في البقرة إلا في : قل ، وفي : علينا ، وفي : عيسى والنبيون ، وقد تقدم شرح ما في البقرة فأغنى عن إعادته هنا ، إلا ما وقع فيه الخلاف ، فنقول : الظاهر في : قل ، أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم) ، أمر أن يخبر عن نفسه وعن أمته بقوله : آمنا به ، ويقوي أنه إخبار عنه وعن أمته قوله أخيراً : ونحن له مسلمون . وأفرده بالخطاب بقوله : قل ، لأنه تقدم ذكره في أخذ الميثاق في قوله : ثم جاءكم رسول ، فعينه في هذا التكليف ليظهر فيه كونه مصدقاً لما مع الأنبياء الذين أخذ عليهم الميثاق . وقال : آمنا ، تنبيهاً على أن هذا التكليف ليس من خواصه ، بل هو لازم لكل المؤمنين . قال تعالى : { كل آمن بالله } بعد قوله : { * } بعد قوله : { الرّسولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ } . .

قال الزمخشري ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبيه وقال ابن عطية : المعنى قل يا محمد ، أنت وأمتك : آمنا بالله ، فيظهر من كلام ابن عطية أن ثم معطوفاً حذف ، وأن ثم الأمر متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم) وأمته . .

وأما تعدية أنزل ، هنا : بعلى ، وفي البقرة بإلى فقال ابن عطية : الإنزال على نبي الأمة إنزال عليها . .

وقال الزمخشري : فإن قلت لم عدّى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء ، وفيما تقدّم من مثلها بحرف الانتهاء ؟ . .

قلت لوجود المعنيين جميعاً ، لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل ، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر . .

وقال الراغب : إنما قال هنا : على ، لأن ذلك لما كان خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم (، وكان واصلاً إليه من الملاً الأعلى بلا واسطة بشر كان لفظ على المختص بالعلوّ أولى به ، وهناك ، لما كان خطاباً للأمة ، وقد وصل إليهم بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم) ، كان لفظ : إلى ، المختص بالإيصال أولى ، ويجوز أن يقال : أنزل عليه إنما على ما أمر المنزل عليه أن يبلغ غيره ، وأنزل إليه على ما خص به في نفسه . وإليه نهاية الإنزال ، وعلى ذلك قال : { أَوْ لَمْ * يَكْفِهِمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } وقال : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } خص هنا : بإلى ، لما كان مخصوصاً بالذكر الذي هو بيان المنزل ، وهذا كلام في الأولى لا في الوجوب . انتهى كلامه . .

وذكر الزمخشري أن : من قال هذا الفرق فقد تعسف ، قال : ألا ترى إلى قوله : { بِرِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ } { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ } وإلى قوله : { وَقَالَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا } ؟ انتهى . .

وأما إعادة لفظ : وما أوتي ، فلأنه لما كان لفظ الخطاب عاماً ، ومن حكم خطاب العام البسط دون الإيجاز ، ولما كان الخطاب هنا خاصاً اكتفى فيه بالإيجاز . .

{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } الإسلام هنا قيل هو الاستسلام إلى الله والتفويض إليه ، وهو